تراجع نمو السكان

عالم أكثر شيخوخة وأقل عدداً

هاميش ماكري

كاتب اقتصادي ومعلق بجريدة الإندبندنت

ظاهرة التراجع الحاد في تعداد السكان في العالم لم تبدأ على نطاق واسع بعد، على الرغم من أن بوادر الانخفاض بدأت تطول عدداً من الدول المؤثرة في العالم مثل: الصين وروسيا واليابان وأجزاء من أوروبا. بموازاة ذلك، سوف يحتفظ التعداد السكاني العالمي بمعدلات نمو سكاني عالية آخذة في الارتفاع ويبلغ ذروته في إفريقيا وشبه القارة الهندية وربما لفترة وجيزة في بعض أرجاء الشرق الأوسط. تستتبع تلك التغييرات الديمغرافية عواقب اقتصادية وخيمة، ويُعزى ذلك لأن التغيير في حجم الفئة العمرية العاملة يُشكِّل المحرك الأساسي للنمو الاقتصادي. وربما يُعد كذلك العامل الفارق الأهم الذي يُحدد فروقات حجم اقتصاديات دول العالم في المستقبل. ومع ذلك، لا تُعد الزيادة في أعداد السكان في الفئة العمرية من الشباب أمراً إيجابياً دون أن يصحب ذلك جودة التعليم والتدريب لتلك الفئة، علاوة على قدرة اقتصاد هذا البلد على التوظيف الأمثل لتلك القوى العاملة المتزايدة.

في حين أن انخفاض التعداد السكاني يشكل تحدياً اقتصادياً هائلاً، إلا أن الزيادة المضطردة والموسعة ليست بأقل منها تحدياً. ومع ذلك، لا تُعد الزيادة في أعداد السكان في الفئة العمرية من الشباب أمراً إيجابياً دون أن يصحب ذلك جودة التعليم والتدريب لتلك الفئة، علاوة على قدرة اقتصاد هذا البلد على التوظيف الأمثل لتلك القوى العاملة المتزايدة. في حين أن انخفاض التعداد السكاني يشكل تحدياً اقتصادياً هائلاً، إلا أن الزيادة المضطردة والموسعة ليست بأقل منها تحدياً.

يستعرض هذا المقال أولاً، ما الذي يمكننا معرفته بشكل معقول عن الاتجاهات السكانية العالمية، ثم يتفحص التداعيات الاقتصادية للتحولات الديمغرافية العظيمة، وأخيراً يرسم بعض الخطوط العريضة لحالة عدم اليقين المتوقعة.

الاتجاهات الديمغرافية الأهم في العالم

ما الذي نعرفه؟ المصدر المعترف به الأوسع شهرة هو نتاج عمل الأمم المتحدة. أظهرت أرقام الأمم المتحدة الأخيرة توقعات بارتفاع ملحوظ للتعداد السكاني العالمي، المقدر بـ 8.4 مليار في الوقت الحالي، في تسعينيات القرن الواحد والعشرين ليصل إلى 10.4 مليار ويبدأ في الانخفاض بعد ذلك. (تقرير الأمم المتحدة للتوقعات السكانية في العالم 2022)[1]. لكن يظل هناك احتمال أن تكون هذه التقديرات مُبالغاً فيها، فضلاً عن احتمال بلوغ تلك الطفرة في تعداد سكان الأرض في وقت أبكر من ذلك بكثير وبحدة أقل من ذلك. كانت المجلة العلمية الطبية "ذا لانست"[2] قد نشرت في عام 2020 بعض التكهنات أبرزها هو توّقع الطفرة السكانية عند 9.7 مليار في عام 2064، وانخفاض التعداد السكاني إلى 8.8 مليار بحلول 2100 (وهو رقم أعلى بقليل من المستويات الحالية). وتقصى التقرير بعض السيناريوهات الأخرى التي تنبأت بأن سيشهد العالم انخفاضاً في تعداد السكان ليصل إلى أقل من 7 مليارات بنهاية القرن الحالي.

إلا أن هناك مُعضلة أخرى هنا وهي أن تقديرات التعداد السكاني تتعامل مع الأرقام في مجملها، ولكنها تجد من الصعوبة بمكان توقُّع أنماط الهجرات البشرية. ما يعني أنه في حين أن الأرقام العالمية أو الإقليمية لا تتأثر دقتها بتلك الحركات غير المتوقعة للهجرة البشرية من دولة لأخرى، تبقى الأرقام المحلية لكل دولة تجانبها الدقة.

في ظل عوامل عدم اليقين الهائلة تلك، يكون مسار الفعل الأمثل هو التعامل مع التوقعات المركزية للأمم المتحدة على سبيل نقطة انطلاق أو أساس، مع ضرورة وضع عاملين مهمين بعين الاعتبار؛ أولا، سيكون من المنطقي أكثر النظر إلى جيل واحد فقط من الآن وحتى 2050 بدلاً من محاولة تخمين أو التكهن بما يمكن أن يحدث أبعد من تلك المرحلة على الرغم من أنني أطرح بعض الأرقام المحددة في هذا المقال وهذا لأنه في حال تبيّن أنها صحيحة ولو من بعيد فإن التداعيات ستكون خطرة؛ وثانياً، من المرجح أن تكون الأرقام الواقعية أقل وليس أعلى من التوقعات.

التوقعات السكانية تقديرات السكان بالمليون

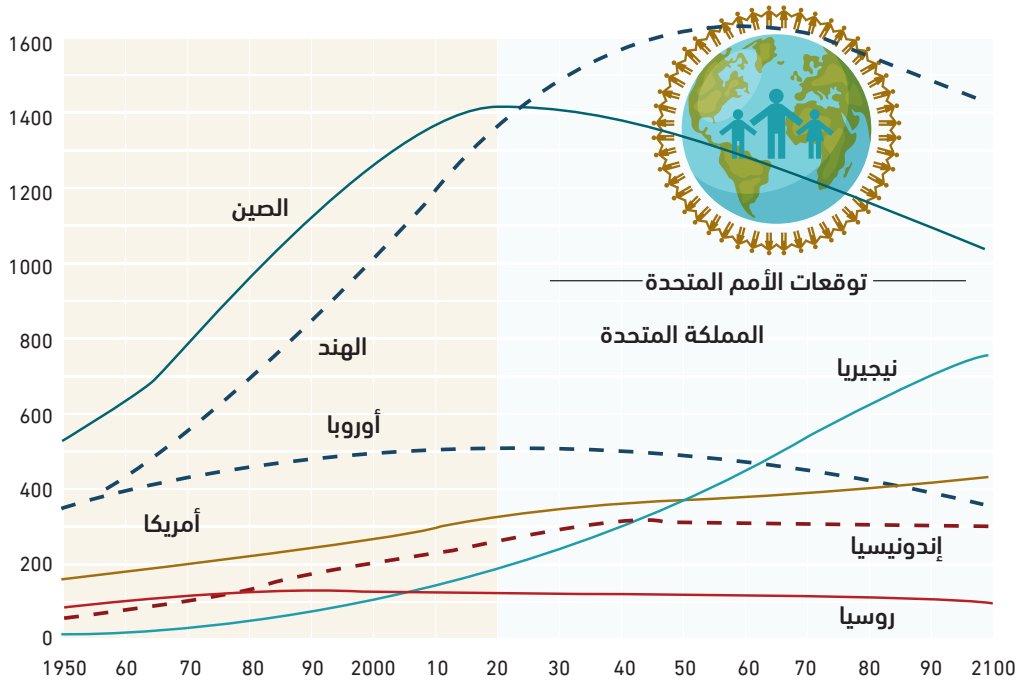

المصدر: الأمم المتحدة، يوروستات

مجموع دول الاتحاد الأوروبي الحالي 27 + المملكة المتحدة

بغض النظر عما سيحدث في الشطر الثاني من القرن الحالي، فمن الواضح أنه ستكون هناك تحوّلات غير مسبوقة في ميزان التعداد العالمي. هنا نرصد أهم السمّات.

سوف تكون هناك طفرة في الأرقام في **قارة إفريقيا** وخاصة في منطقة جنوب الصحراء الكبرى. إذ متوقع لنيجيريا أن تشهد نمواً من تعدادها الحالي البالغ 220 مليوناً إلى 380 مليون نسمة في 2050، وبناءً عليه سوف تصبح ثالث أكبر الدول كثافة للسكان بحلول 2100 بتعداد سكان يبلغ 546 مليون نسمة. بينما تصل مصر إلى 160 مليون نسمة بحلول 2050، ويرتفع هذا الرقم إلى 200 مليون في عام 2100، ويُضاهي ذلك زيادة في تعداد السكان في السودان إلى 84 مليون نسمة ثم إلى 142 مليون نسمة للعامين 2050 و2100 على التوالي. هل تعتبر تلك التقديرات واقعية؟ ليس بالضرورة، ولكن في حال تبين أنها كذلك، فإن ذلك يعني ارتفاع تعداد سكان قارة إفريقيا من حوالي 1.5 مليار نسمة إلى 2.5 مليار نسمة بحلول عام 2050، ويكاد يقترب من 4 مليارات نسمة في 2100.

لن يشهد **الشرق الأوسط** نقلات بنفس الحدة والدراماتيكية، إلا أنه سيمر بعمليات إعادة توازن محورية. على سبيل المثال، من المتوقع لتعداد المملكة العربية السعودية البالغ حالياً حوالي 37 مليون نسمة أن يصل إلى 48 مليوناً في 2050، ليعود للانحدار

تدريجياً حتى يصبح التعداد السكاني للمملكة بنهاية القرن 50 مليون نسمة فقط. في المقابل، فإن اليمن تمتلك تعداداً يصل إلى 35 مليون نسمة في الوقت الحالي، ومتوقع له الارتفاع إلى 55 مليون نسمة في 2050 وصولاً إلى 74 مليون نسمة في 2100. وبالمثل، ستتبدل المراكز التقديرية لكل من العراق وإيران. إذ يصل تعداد سكان العراق في الوقت الحالي إلى 45 مليون نسمة ومقرر أن يرتفع إلى 75 مليوناً في 2050 وحتى 112 مليوناً في 2100. بينما يصل تعداد سكان إيران حالياً 89 مليون نسمة، ومتوقع أن يرتفع إلى 99 مليون نسمة في 2050 ويتباطأ النمو بعد ذلك ليصل التعداد المتوقع فيها إلى 80 مليون نسمة بنهاية القرن. جديرٌ بالذكر أيضاً، أن التقديرات الخاصة بالتعداد السكاني لدولة الإمارات العربية المتحدة تُشير إلى تحقيق ارتفاع من العدد الحالي البالغ 9.5 مليون نسمة إلى 11.5 مليون نسمة في 2050 و14 مليون نسمة في 2100.

في **قارة آسيا**، تتبارى الصين والهند لتحقيق إعادة التوازن الكبير. بحسب تقارير الأمم المتحدة، فإن الصين سوف تهبط من تعدادها الحالي البالغ 1.4 مليار نسمة وتصل إلى 1.3 مليار نسمة في 2050، ثم 770 مليوناً في 2100. أي أن النقلة الكبرى من المتوقع لها أن تحدث في النصف الثاني من القرن الحالي، ولكن في غضون 25 عاماً سيكون هناك بالفعل هيكل مختلف تماماً للتركيبة العُمرية: بمعنى وجود أطفال وعمالة شابة أقل، ووجود عدد أكبر بكثير من كبار السن والمتقاعدين. أما الهند، والتي تخطت للتوّ الصين في تعدادها السكاني، فهي تتقدم في هذا السباق مُحققةً 1.7 مليار نسمة في 2050، وسوف تحتفظ بتعداد لا يقل عن 1.5 مليار نسمة بنهاية القرن. بما ينذر بانتقال الهند

©Shutterstock

مـن كونهـا تقريبـاً على نفـس الخطـى مـع الـصين بالنسـبة لتعـداد السـكان الحـالي إلى القفـز لضعـف تعـداد الـصين في غضـون 75 عامـاً.

يسـود نمـط التراجـع في أعـداد السـكان بالنسـبة لغالبيـة **دول العالـم المتقـدّم**، والـذي بدأت بـوادره في الظهـور بالفعـل. إذ تشـهد أعـداد السـكان انخفاضـاً في تلـك الـدول، واليابـان المثـال الأوضـح على ذلـك التراجـع، إذ مـن المتوقـع أن يطـرأ تراجـع على تعدادهـا الحـالي البالـغ 123 مليـون نسـمة إلى أدنـى مـن 100 مليـون في منتصـف الخمسـينات مـن القـرن الحـالي، وصـولاً إلى 74 مليـون في 2100. وبهـذا، تعـود اليابـان إلى مسـتويات عـام 1945 في أعقـاب الحـرب العالميـة الثانيـة[3]. أمـا في أوروبـا الغربيـة، فـإن كلاً مـن إيطاليـا وإسـبانيا تشـهدان انخفاضـاً بالفعـل. بالنسـبة لألمانيـا، أكبر اقتصـاد أوروبـي، مـن المتوقـع أن تهبـط مـن 83 مليـون نسـمة إلى 68 مليـون نسـمة بحلـول 2100. على الرغـم مـن هـذا، توجـد أمثلـة لتعـداد سـكاني مسـتقر أو حتـى متزايـد في دول مثـل: هولنـدا والسـويد وسـويسرا، وذلـك بفضـل الهجـرة الداخليـة بشـكل أسـاسي.

الأمثلـة الأبـرز على معـدلات الزيـادة السـكانية الأكبر في الـدول المتقدمـة نجدهـا في دول الشـعوب الناطقـة بالإنجليزيـة (الأنجلوفـون). تبرز **الولايـات المتحـدة الأمريكيـة** ليـس فقـط لكونهـا أكثـر الـدول كثافـة سـكانية في العالـم، بـل والأسرع نمـواً أيضـاً. مـن المتوقـع لتعـداد الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أن يرتفـع مـن 340 مليـون نسـمة حاليـاً إلى 375 مليونـاً في 2050 ويصـل إلى 390 مليـون نسـمة في 2100. سـوف يشـهد تعـداد الشـعوب (الأنجلوفـون) الأخـرى زيـادة مماثلـة في نفـس الـفترة، إذ سيرتفـع حجـم سـكان كنـدا مـن 39 مليونـاً إلى 46 مليونـاً ومـن ثـم إلى 54 مليونـاً، وترتفـع أعـداد السـكان في أستراليـا مـن 27 مليونـاً إلى 32 مليونـاً ثـم إلى 38 مليونـاً لنفـس الأعـوام بالتتابـع. بالنسـبة للمملكـة المتحـدة، سـيُدهش الكـثيرون عنـد معرفـة أنـه مـن المتوقـع لهـا أن تحتـل مرتبـة الدولـة الأكثـر كثافـة سـكانية بين دول أوروبـا، متقدمـةً في ذلـك على ألمانيـا بحلـول سـبعينيات القـرن الحـالي، إذ يصـل تعدادهـا الحـالي إلى 68 مليـون نسـمة ومـن المتوقـع أن يرتفـع إلى 72 مليونـاً في 2050 ومـن ثـم يسـتقر عنـد حـدود 71 مليـون نسـمة بنهايـة القـرن.

روسـيا هـي الأخـرى في مواجهـة انخفـاض بـوتيرة مسـتمرة ومنتظّمـة في نموهـا السـكاني، إذ أظهـرت الأرقـام انخفاضـاً في تعدادهـا مـن 144 مليـون نسـمة إلى 133 مليـون نسـمة، وأخيراً إلى 112 مليـون نسـمة بحلـول 2100.

حظيّـت بعـض الـدول بحضـور مميّـز في تلـك الإحصـاءات، وضرب بعضهـا أمثلـة اسـتثنائية للنتائـج. إذ كشـفت النتائـج المأخـوذة مـن كوريـا الجنوبيـة على سـبيل المثـال عـن انخفـاض مخيـف للسـكان فيهـا بأكثـر مـن النصـف على مـدار الـ 75 عامـاً المقبلـة. ويُقلـق السـلطات الكوريـة بطبيعـة الحـال تدنـي معـدلات الخصوبـة لـدى شـعبها لتلـك المسـتويات إذ يبلـغ متوسـط المواليـد رقمـاً مـذهلاً عنـد 0.8 طفـل في الشـهر، ويأتـي هـذا في تناقـض تـام مـع إحصائيـات كوريـا الشـمالية التـي يصـل معـدل المواليـد فيهـا إلى 1.8 طفـل لـكل امـرأة في المتوسـط. تُظهـر بيانـات "البنـك الـدولي"[4] أنـه مـن المتوقـع لأرقـام باكسـتان النمـو حتـى بسرعـة أكبر عـن أرقـام الهنـد، إذ مـن المتوقـع لهـا أن ترتفـع بأكثـر مـن الضعـف عـن الأرقـام

الحالية عند 235 مليوناً إلى 487 مليوناً في 2100. وفي إفريقيا، يبلغ تعداد سكان تنزانيا الحالي 67 مليون نسمة، ولكن من المتوقع له أن يرتفع ليصل إلى 245 مليون نسمة في خلال فترة الـ 75 عاماً المقبلة. عند الاطلاع على هذا النوع من الأرقام لا يسع المرء سوى أن يتساءل عمّا إذا كان ذلك محتمل الحدوث بالفعل؟ وإذا لم يكن، فما السبب الذي يمكن أن يكون قد أعاق ذلك؟

التداعيات الاقتصادية للتحولات الديمغرافية

على أية حال، في حال قررنا الاعتراف بأرقام الأمم المتحدة بكل تلك التوقعات الفضفاضة، فإن ذلك يعني مواجهة بعض التداعيات الاقتصادية العميقة. استعرض بعضاً من أهمها بحسب تقديري:

استمرار الولايات المتحدة الأمريكية كأقوى اقتصاد عالمي على امتداد القرن الحادي والعشرين، بل وسيتعاظم دورها في كمحرك أساسي مهم للاقتصاد بين دول العالم المتقدم في ظل تزايد شيخوخة مجتمعات قارة أوروبا واليابان. من المؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية وطوال القرن الحادي والعشرين ستبقى أكبر اقتصاد عالمي، على الرغم من كل التحديات التي تفرضها الصين.

تسارُع الانكماش السكاني في الصين بشكل رهيب حتى يتغير وجه الصين تماماً عما تبدو عليه الآن كقوة آخذة في التوسع والامتداد. إذ سوف يدفع بها الانخفاض في التعداد السكاني إلى التركيز على الداخل في محاولة لإدارة الضغوط الداخلية بدلاً من التوجه باهتمامها إلى الخارج في محاولة للانتصار على الغرب في لعبة السباق الاقتصادي.

دفع النمو السكاني في الهند باقتصادها للأمام لجيل قادم آخر على الأقل، وربما لأطول من ذلك. بحسب تقرير أجري في "مركز البحوث التجارية والاقتصادية" (CEBR) وهو شركة استشارات اقتصادية مقرها لندن[5] جاءت فيه توقعات بأن تصبح الهند أضخم اقتصاد عالمي بحلول عام 2100 متقدمة على كل من الولايات المتحدة الأمريكية والصين.

تعاظم أهمية إفريقيا لا محالة في الأيام المقبلة، في مسار إيجابي أو هكذا آمل على الأقل، بصفتها القارة "الشابة" بين جميع القارات وبثرائها كمصدر للعمالة. لأنه في حال أخفقت إفريقيا في استحداث وظائف كافية لشعبها الشاب لينعم بحياة كريمة، سينتج عن ذلك تحديات اجتماعية هائلة سيصعب احتواؤها.

تقلُّص الأيدي العاملة في روسيا، فضلاً عن إصرارها في سعيها المحموم للتصادم مع الغرب، يصعِّب عليها للغاية استمرارها في إحكام قبضتها على أراضيها المترامية كونها أكبر الدول مساحةً في العالم.

على المدى الطويل، سيكون لاستقرار التعداد السكاني أثر إيجابي في البيئة. فكلما كانت العودة للاستقرار بعد تلك الزيادات في التعداد السكاني أسرع، يسهُل الاستمرار في تقديم جودة حياة متميزة دون إرهاق الكوكب بمزيد من المتطلبات التي تُثقل كاهله بالفعل وتستنزف موارده. ولكن علينا أن نتقبل أنه سيكون هناك جيل واحد على الأقل سيضطر إلى معايشة تلك الفترة من النمو – ربما جيلين– قبل أن نصل إلى تلك الطفرة.

إلى جانب التغيرات في الكثافة السكانية وتذبذبات إمدادات الأيدي العاملة، يوجد عدد من المحركات الأخرى للأداء الاقتصادي للدول. من بين هذه المحركات الابتكارات الفنية والرغبة في تطبيق التقنيات التي تم تطويرها في أماكن أخرى من العالم. علاوة على ذلك، بالنسبة للدول الغنية بالموارد، تكمُن المعضلة في قدرتها على تطوير تلك الموارد بطريقة فعّالة. يستفيد الأداء الاقتصادي كذلك من مدى الانفتاح على التجارة العالمية والاستثمار، مما يطرح أسئلة جوهرية بشأن مدى حقيقة انحسار العولمة فعليّاً أو ما إذا كانت تسير باتجاه مخالف. في جميع الأحوال، يبقى واحد من أهم محددات الإطار العام للعولمة؛ ألا وهو حركة الأفراد بين التقسيمات ذات السلطات القضائية المختلفة، متأثراً بالديمغرافيا بشكل أساسي، ولعل هذا أحد أهم مصادر عدم اليقين التي يطرحها علينا المستقبل.

أهم عوامل الغموض وعدم اليقين

ثمّة حقيقة مؤكدة نعرفها بثقة أقرب إلى اليقين، لننطلق من نقطة اليقين تلك إذن، تلك الحقيقة هي أن عام 2050 سيشهد عدد البنية العمرية الناضجة الأكبر على مستوى العالم. ونحن نعلم ذلك يقيناً ببساطة لأنه لا يمكن أن تصل للبلوغ حينها إلا إذا كنت قد وِلدت بالفعل أو على الأقل ستولد في غضون الأعوام القليلة المقبلة. ولكن وفي حين أنه بإمكاننا القيام بمحاولة مقبولة جداً للتنبؤ بالعدد الإجمالي للأفراد من الفئة العمرية التي تؤهلهم للعمل، فإنه من الصعب بمكان معرفة تموضعهم الجغرافي، إذ لا توجد لدينا فكرة عمّا سيكون عليه وضع الهجرة البشرية في أثناء ذلك.

ينتقل الأفراد من مكان إلى آخر بحثاً عن الفرص الاقتصادية. يعني هذا ببساطة الانتقال بحثاً عن وظيفة: بصيغة تحصيل عقد عمل في الخارج لمدة زمنية محددة، وإرسال الأموال للأسرة في الوطن، والعودة للوطن بنهاية المطاف. يُعدّ هذا النمط الأكثر شيوعاً في الشرق الأوسط، وهو من أهم محركات الازدهار العالمي. كشف تقرير "البنك الدولي" الأخير عن هذا الموضوع[6] عن أن إيداعات العمالة الوافدة ارتفعت بشكل منتظم هذا القرن لتصبح المصدر العالمي الأكبر الأول لتطوير رؤوس الأموال في العالم، متفوقة بكثير على كل من الاستثمارات الخارجية المباشرة في رأس المال والمساعدات الرسمية. كما يصعب رؤية ذلك التأثير ينحسر. نتيجة لذلك، ستتمكن الاقتصادات المتسارعة النمو بفضل هذا من الاستمرار في الأداء على نفس المستوى دون التعارض مع قيود عمالية متزمتة.

أمّا النوع الآخر من الهجرة البشرية إذ يخرج الناس سعياً في تحصيل حياة جديدة لعائلاتهم جنباً إلى جنب مع الوظيفة، فقد أصبح أكثر إثارة للجدل. إذ تُغلق بعض

الدول المتقدمة أبوابها بالكامل في وجه المهاجرين؛ اليابان على سبيل المثال. بينما تُعدّ بعض الدول، مثل الصين، غير جاذبة للهجرة ولأسباب متعددة. ولكن، في أغلب دول العالم المتقدم وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وأستراليا وبعض الدول الغربية فإن عامل الجذب الذي يستقطب المهاجرين الجُدد قوي للغاية. لذا، في حين يخضع السياسيون في كل مكان لضغوط هائلة للسيطرة على الحدود بصورة أفضل، فحتى الآن ما تزال الهجرة الداخلية إلى الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة ودول أوروبا تتجه للارتفاع بقوة. في ظل كل هذا، يصعُب تصوّر كيف يمكن أن يتطور هذا الوضع وإلى ماذا سيؤول. إلا أن توقعي الشخصي والمعمم هو أنه سيتم تشديد القيود على الهجرة وتصبح أكثر جدوى وفاعلية عن ذي قبل، وسيتأتى للدول العمل على انتقاء المهاجرين الذين سيسهمون في تطوير اقتصادها بشكل أفضل بحسب تقدير تلك الدول.

هناك مجال آخر تسوده نسبة كبيرة من الشك وعدم اليقين؛ ألا وهو الخصوبة البشرية. لدينا تكهنات حول تفاقم الوتيرة التي ستنخفض وفقاً لها أحجام العائلات في العالم الجديد، وهذا استناداً على ما تم رصده بالفعل من العزوف عن الإنجاب المرتبط بعوامل مثل: ارتفاع المستوى التعليمي للمرأة، والانتقال من القرى إلى المدن الحضرية، والتحسن العام في مستويات المعيشة. وبحسب تقديرات البنك الدولي المشار إليها أعلاه، فإن معدل الخصوبة البشرية الإجمالي في الهند انخفض إلى ما دون معدل الاستبدال ليصل عند متوسط 2.1 طفل في الشهر. وعلى مستوى الدول المتقدمة، فلا تحقق دولة متقدمة واحدة معدل مواليد يقترب حتى من معدل الاستبدال. حتى تلك الدول التي تحقق ارتفاعاً في التعداد السكاني مثل الولايات المتحدة الامريكية، فإن ذلك يرجع إلى الهجرة الداخلية في حقيقة الأمر وليس الزيادة في أعداد المواليد. بديهيّاً، توقُّع نوع من الارتفاع في معدلات المواليد، وكما جاء في استطلاع حديث لمركز "غالوب" الأمريكي للتحليلات والاستشارات[7] فإن تفضيلات الشعب الأمريكي للعائلات كبيرة العدد وصل لأعلى مستوى له منذ 1971. ولكن وبطبيعة البشر فأفعالنا ليست بالضرورة انعكاساً لرغباتنا: لا تظهر البيانات حتى الآن أي توجه حقيقي نحو تكوين عائلات أكبر عدداً.

الديمغرافيا هي المصير

أولًا؛ أعتقد أن عبارة "الديمغرافيا هي المصير" والمنسوبة إلى الفيلسوف الفرنسي أوغست كومت، لا تلقى القدر الكافي من الاهتمام. فقد أشار ديفيد بلوم، الديمغرافي في جامعة هارفارد في لقاء بودكاست حديث له مع "صندوق النقد الدولي"[8] إلى كيف أن السياسات العامة تتشكل بناءً على التغيرات الديمغرافية، وتستجيب لها. لذا، يجدُّر بالديمغرافيا أن تكون المصير، ومن الممكن بل والضروري إدارتها بطريقة عقلانية ومدروسة.

ثانيًا؛ من شأن الديمغرافيا أن تسهم في تجنيب الصين والولايات المتحدة الأمريكية الوقوع في "فخ ثيوسيديدز" (Thucydides Trap)[9]. كان المؤرخ الإغريقي الشهير قد أشار إلى ذلك المفهوم لأول مرة للتعبير عن حتمية التصادم عندما تتحدى القوة الصاعدة القوة العظمى المهيمنة ومآل ذلك الحرب لا محالة. ولكن، الكثافة السكانية الآخذة في الانكماش

في الصين قد تتسبب قريباً في نفي صفة "القوة الصاعدة" عن الصين. أما بقاء الولايات المتحدة الأمريكية قوة اقتصادية أكبر من الصين، فهذه فرضية ممكنة بالطبع إلا أنها قد تكون بعيدة الاحتمال. العديد من واضعي التوقعات بمن فيهم "مركز البحوث التجارية والاقتصادية" (CEBR) في لندن، عجَّلوا التاريخ المتوقع فيه للصين أن تتقدم على الولايات المتحدة الأمريكية في الحجم الاقتصادي في ظل خفوت النمو السابق المتوقع للولايات المتحدة الأمريكية. لذا، فإن الشراكة التي سمّيتها الاستقرار والرخاء هي الأقرب للحدوث بين البلدين، في رأيي وتقديري، من الانجرار وراء الصراع العلني.

وأخيراً، وهذا يصل بنا إلى النقطة الثالثة، من المتوقع أن يبدأ تراجع التعداد السكاني العالمي في الحدوث في غضون الخمسين إلى الخمسة وسبعين عاماً المقبلة، ما يعني أن الفئة العمرية من الأطفال اليوم سيعاصرون ذلك، علاوة على تفشي أعداد الفئة العمرية من المسنين وهبوط حاد في أعداد فئة شباب لأدنى بكثير مما هو عليه الوضع الآن. يمكن القول إنه سيسود شعور عام مختلف تماماً. فهل سيكون جيل "البنية العمرية الناضجة" أكثر حكمة وأكثر ميلاً إلى الهدوء؟ آمل ذلك، وأثق بأن هذا ما سيكون عليه الوضع.

*** ترجمة:** ولاء صلاح

المصادر:

1- United Nations, "World Population Prospects 2022," **Department of Economic and Social Affairs**, 2022, https://population.un.org/wpp/

2- Stein Emil Vollset, et al., Fertility, mortality, migration, and population scenarios for 195 countries and territories from 2017 to 2100: a forecasting analysis for the Global Burden of Disease Study, **The Lancet**, VOLUME 396, ISSUE 10258, P1285-1306, OCTOBER 17, 2020, https://tinyurl.com/4yrvntcy

3- Minoru Tachi, "Population Trend and Economic Growth in Japan," Ministry of Health and Welfare, **Institute of Population Problems**, April 1960, https://www.ipss.go.jp/history/EnglishPamphletSeries/pdf/J000008733.pdf

4- The World Bank, **Fertility Rate**, Total (Beirths per Woman), https://tinyurl.com/yestz82c

5- **CEBR**, "We forecast that China will be the world's largest economy for only 21 years before the US overtakes again in 2057. And by 2081 India will have overtaken the US. How does this affect geopolitics?" 24 July 2023, https://tinyurl.com/yj32yutn

6- **The World Bank**, "Remittances Remain Resilient but Likely to Slow" the WB, 13 June 2023, https://www.worldbank.org/en/news/press-release/2023/06/13/remittances-remain-resilient-likely-to-slow

7- Megan Bernan, "Americans' Preference for Larger Families Highest Since 1971," **Gallup**, 25 September 2023, https://news.gallup.com/poll/511238/americans-preference-larger-families-highest-1971.aspx

8- David Bloom, "David Bloom: Demography is Destiny- Really?" **IMF Podcasts**, 11 March 2020, https://www.imf.org/en/News/Podcasts/All-Podcasts/2020/03/11/david-bloom-on-demographics

9- Graham Allison, "The Thucydides Trap: Are the U.S. and China Headed for War?" **The Atlantic**, 24 September 2015, https://tinyurl.com/2p4mkst8/